Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وما كان أحد ليلتفت إلى وليد منهم، وضعته أمه يتيمًا فى حىّ بنى هاشم بجوار الحرم المكى، فى تلك الليلة التى بوركت به..

لولا أن حفَّت بمولده ظروف غير مألوفة، جعلت أُم القرى تتلقى البشرى بكثير من التأمل والتفكير، ثم تحرص على أن تستوعب كل ماحفَّ بها أو لابسها من ظروف، وأن تتابع سير الحياة بهذا الوليد إلى أن بلغ أشده واصطُفِى خاتمًا للأنبياء عليهم السلام.

وحين آن للتاريخ العام أن ينصرف عن أحداث الدنيا فى فجر المبعث ليرقب هذا المصطفى للنبوة، وجد فى ذاكرة أم القرى ما يملأ صفحات المرحلة ما بين مولده ومبعثه..

* * *

الليلة من بدئها كانت مقمرة واعدة.

ينيرها قمر أوشك أن يكتمل بدرًا.

وتؤنسها أطياف ورؤى، ظلت تتجلى لآمنة بنت وهب القرشية الزهرية، طوال شهور حملها، فتعينها على احتمال تجربة المخاض.

فمنذ حملت بهذا الجنين، وهى لا تكف عن التفكير فيما كان من أمرها وأمره، بعد أن مات أبوه «عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم» فى طريق أوبته إليها من رحلة صيف إلى بلاد الشام.

ولم يكن حين ودَّعها، قبل بضعة أشهر، يتوجس خيفةً من عائق يطيل أمد غيابه فى رحلته، عن ميعادها الموقوت.

ولا كانت «آمنة» فى هواجس وحشتها لفراقه، تتوقع أمرًا يحبسه عنها بعد انتهاء الرحلة.

فى عِزِّ شبابه ونضرة حيويته، مضى مع قافلة قريش إلى الشام.

ومكة ما تزال تتجاوب بأصداء الاحتفال المشهود بعرسه، وتجتر مشاهد القصة المثيرة لافتدائه من الذبح قربانًا لرب الكعبة، وفاء بنذر أبيه عبد المطلب بن هاشم.

كان عبد المطلب منذ ولى شرف السقاية والرفادة لوفود الحجيج إلى البيت العتيق، يشغله همُّ التفكير فيما يتجشم ويتجشمون فى الموسم، من شح الماء فى الوادى الأجرد غير ذى زرع.

وذكر بئر زمزم التى أنقذت جده «إسماعيل بن إبراهيم الخليل» عليهما السلام. من الهلاك ظمأً، وجذبت إلى مكة القوافل من العرب، فعمرت بهم بعد أن كانت قفرًا جرداء.

وقد طمُرت زمزمَ رمالُ الزمن، فلو أن عبد المطلب عثر على موضعها، لكانت لسقاية الحجيج موردًا مباركًا.